مصادر تهديد الامن التربوي :الوسائل والاثار

ذكرى جميل محمد حسين البناء
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
قسم الانثروبولوجيا والاجتماع
drthikraalbanaa@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.36231/coedw/vol31no1.5

Received 11/10/2019 Accepted 19/1/2020

الملخص

يمكن القول ان عالمنا المعاصر يواجه تهديدات مختلفة وذات مصادر متعددة. انه عالم مسكون بالصراع والمخاطرة واذا كانت ادوات مثل الحرمان من الطاقة او من التسهيلات الاقتصادية، او العزل السياسي وغيرها فان ما نسميه (التسميم التربوي) هو احد الادوات الخطيرة الناجمة عن عمليات تزوير وتشويه للمضمون المعرفي والقيمي والاخلاقي للتربية والذي تستخدم لتحقيقه شتى الوسائل المادية والفكرية.

في هذه الدراسة ابتدأنا من رؤية واسعة لمفهوم النظام التربوي فهو ليس مجرد تعليم مدرسي بل هو تنشئة اجتماعية تبدأ بالأسرة ولا تتوقف، وتتبلور من خلالها منظومات دينية وأخلاقية وعلمية وميثولوجية تشكل بمجموعها المضمون المعرفي لذلك النظام كما تحدد الوسائل اللازمة لنقله من جيل الى جيل ولذلك فإن النظام التربوي لصيق بالثقافة السائدة في المجتمع.

ركزت الدراسة على:

أولا- المفاهيم وتناولنا: التربية - الأمن - الأمن التربوي - مصادر التهديد.

ثانيا- اطار منهجي تناول: المشكلة وهدف الدراسة واطارها النظري.

ثالثا- مصادر تهديد النظم التربوية وتناولنا: البدع والديانات البديلة وتدمير المنظومات الأخلاقية وتحريف المناهج الدراسية.

رابعا- مخرجات أو آثار تهديد النظام التربوي.

خامساً- مقترحات

الكلمات المفتاحية: الأمن التربوي – التهديد – الاخلاق

Sources of Threatening Educational Security: Means and Effects

Thikra Jamel M. H. Al-Banna
Department of Anthropology and Sociology
Al Mustansiriya University

Abstract

Today's world confronts various threats from different sources. Similar to deprivation of energy, economic facilities, or political deposition, educational poisoning is one of the dangerous phenomena that result from distorting and corrupting the ethical and educational components of teaching by various material and non – material means. This paper sheds light on the concept of the educational system which is not a mere process of teaching, but rather an endless process of socialization that begins in the family and develops into religious, ethical, scientific and mythological systems, all of which form the cognitive component. It also defines the necessary means by which it is transmitted from one generation into another. The educational system, indeed, is closely connected with the culture of society. The study also gives an in-depth look at some concepts, mainly education, security, educational security, and sources of threat such as novelties, alternative religions, ethical system destruction, and curriculum distortion. It also attempts to provide a cursory account of the different effects of educational threat and presents some suggestions.

Keywords: educational security, ethics, threat

المقدمة

الأمن الإنساني لا يتجزأ لأن حياة الأنسان الاجتماعية تتبادل التأثير وظيفيا ومن ثم فان اي تهديد في الجانب الاقتصادي أو التربوي أو الوظيفي ينعكس على الجوانب الأخرى من الحياة مما يعني الحاجة الى رؤية تكاملية يمكن ان تستوعب مداخل عدة علوم اجتماعية ـ نفسية لدراسة المشكلات المتعلقة بالأمن الإنساني عامة والاجتماعي خاصة للإنسان في مجتمعات تتغير بوتائر عالية وتتعدد فيها ومن خارجها مصادر التهديد.

في هذه الدراسة ابتدأنا من رؤية واسعة لمفهوم النظام التربوي فهو ليس مجرد تعليم مدرسي بل هو تنشئة اجتماعية تبدأ بالأسرة ولا تتوقف، وتتبلور من خلالها منظومات دينية وأخلاقية وعلمية وميثولوجية تشكل بمجموعها المضمون المعرفي لذلك النظام كما تحدد الوسائل اللازمة لنقله من جيل الى جيل ولذلك فإن النظام التربوي لصيق بالثقافة السائدة في المجتمع.

ركزت في الدراسة على:

أولا ـ المفاهيم وتناولنا: التربية ـ الأمن ـ الأمن التربوي ـ مصادر التهديد.

ثانيا ـ اطار منهجي تناول: المشكلة وهدف الدراسة واطارها النظري.

ثالثا ـ مصادر تهديد النظم التربوية وتناولنا: البدع والديانات البديلة وتدمير المنظومات الأخلاقية وتحريف المناهج الدراسية.

رابعا ـ مخرجات أو آثار تهديد النظام التربوي.

خامساً ـ مقترحات

آمل ان تكون الدراسة مفيدة من حيث ما تثيره من تساؤلات وملاحظات تمكن من الوصول الى مقترحات عملية وتصورات نظرية عميقة.

اولا ـ اطار مفاهيمي:

1. التربية Education

في الفصل السادس عشر من كتاب جدنز عن علم الاجتماع والذي وردت مادته تحت عنوان التربية والتعليم نجد ان معظم المعلومات التي وردت فيه تتعلق بالتعليم المدرسي. ثم بتقنيات التعليم ونظرياته والجامعات الالكترونية (جدنز، 2005، صفحة 537 وما بعدها). وهذا يعني ان هناك رؤية تطابق بين التربية والتعليم المدرسي. غير أن للتربية اطار أوسع يمكن ان يكون التعليم المدرسي أحد اهم عناصرها. يرى بعض الباحثين ان للتربية في معظم المجتمعات دوران اساسيان: اولهما نقل المعرفة من جيل لآخر وثانيهما تزويد الناس بالمهارات التي تمكنهم من التحليل والتشخيص ثم التساؤل (Hills, 1985, p. 137). وهذا يعني ان مفهوم التربية يقارب مفهوم التطبيع او التنشئة الاجتماعية Socialization. ففي معظم المجتمعات نجد ان المعرفة التي تتناولها التربية تتضمن تعلم الانساق القيمية المقبولة بشكل عام كما يتضمن ذلك القواعد الاخلاقية خاصة بالنسبة للأطفال. ان هذه المعرفة هي جزء متكامل في المنظومة التربوية وبناءا على ذلك عرفت التربية بانها: عملية تعلم تستهدف تزويد الناس بالمعرفة والمهارات (Hills, 1985, p. 137 _ 138) يرى الدكتور محمد جواد رضا وهو من كبار التربويين العرب ان التربية ـ كما الحضارة ـ تثير بين المربين وعلماء الاجتماع اختلافا كبيرا في النظر الى طبيعتها والى وظيفتها الاجتماعية. ويحدد الدكتور رضا ما يسميه خمسه مذاهب في النظر الى التربية نلخصها بالشكل (1) فيما يأتي:

ان كل هذه المذاهب تنطوي على اتفاق ضمني ملخصه ان التربية هي عملية تزويد الفرد بمعارف وامكانات تجعله متقبلا لأدواره كعضو في المجتمع او جماعة، اي ان يتقبل نظام الثواب والعقاب وان يكتسب قدرة على التفاعل المتبادل مع الآخرين طبقا لمنظومات القيم والمعايير السائدة في المجتمع في زمن معين.

شكل (1) المذاهب الرئيسة في تحديد معنى التربية (رضا، 1987، الصفحات 26-29)

العالم	مفهوم التربية	الملاحظات
ماكس فيبر	اداة لتثبيت الهيمنه الاجتماعية	اذ بواسطتها يتم توزيع القوة الاجتماعية. فكل نظام تربوي يهدف الى تعويد الاطفال على سلوك معين
اميل دوركهايم	تحقيق الوفاق الاجتماعي	فهي مؤسسة اجتماعية
كارل مانهايم	جعل الفرد ينسجم مع الانماط السلوكية والاجتماعية السائدة	التعايش بين ذات الفرد وذات الجماعة
هيرسكوفيتس	عملية دمج ثقافي	اكتساب كفاية اجتماعية للعيش في المجتمع
علماء النفس الاجتماعي	هي عملية تعلم اجتماعي	هناك وجهات نظر متعددة في هذا الجانب

يرى البعض ان الاستعمال الاكثر شيوعا هو ان التربية تشير الى توفير تدريب عقلي واخلاقي وتنمية القوى الاخلاقية والشخصية وخاصة من خلال اقسام متخصصة مثل المدارس، علماً ان الاهتمام السوسيولوجي بالتربية بدأ في امريكا منذ عام 1918 من خلال تصور مفاده ان التربية هي المرادف للتنشئة الاجتماعية. (Gould, 1964, p. 228)

ان اي خلل في المضمون المعرفي للتربية يمكن ان يؤدي الى خلل في الشخصية وفي السلوك ينعكس في النهاية على المجتمع.

2. الامن التربوي(*) Educational Security(المرایاتي و آخرون، 1997، ص ص 8-9)

الامن من المفردات المهمة لحياة الانسان بوصفه المرتكز لكل العناصر والنشاطات الإنسانية، وهو" بكافة صوره وأشكاله يعد من أهم الحاجات التي لا يمكن أن يصبح من دونه سلوك الإنسان سوياً، ويعد نعمة من أجل النعم التي أنعمها الله على بني البشر ووعد بها عباده الذين يعبدونه ويوحدونه، فالله سبحانه وتعالى يقول: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"((سورة النور, اية 55) وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الأمن أعظم مطلب للفرد في هذه الحياة، وأنه بحصوله عليه يكون قد ظفر بكل ما في الدنيا؛ قال صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا". (الدهشان، 2018).

الامن والامان صنوان. وهو حالة تناقض الخطر والتهديد. يقول الدكتور نبيل رمزي اسكندر- ان الامن الاجتماعي هو: كل الاجراءات والبرامج والخطط (السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها). الهادفة لتوفير ضمانات شاملة تحيط كل شخص في المجتمع بالرعاية اللازمة وتوفر له جميع احتياجاته في اطار من الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية (اسكندر، 1988، صفحة 4) وفي اعتقادنا ان الامن التربوي هو الجزء الاهم من الامن بمعناه العام، اذ هو الاطمئنان على ان معارف الفرد واخلاقياته ومبادئه، وقدراته لا تضعه في مواجهة مع المجتمع بل على العكس من ذلك تحقق له حالة من الاطمئنان والشعور بالرضا اي تمكنه من اداء الادوار التي انيطت به سواء على مستوى الاسرة او العمل او الترويح وغيرها. وبهذا المعنى فان الامن التربوي يوفر قاعدة الاستقرار النفسي للفرد، ويعزز ثقته بذاته بوصفه قادرا على الانسجام مع مجتمعه والمشاركة في اوجه حياته المختلفة. ولذلك يمكن القول ان الامن التربوي يتخلل حياة الانسان الاجتماعية فهو اوسع من الفهم الشائع الذي يجعل المدرسة محورا وحيدا له، بل ان محاوره متعددة من المدرسة الى الاسرة وصولا الى كل مؤسسات المجتمع ذات الوظائف الثقافية بصورة خاصة. وكما أن الامن التربوي يتعلق بحياة الفرد، فأنه أيضا يشكل(احد مفردات الامن الوطني التي تشكل منظومة متكاملة من: الامن السياسي والامن الاقتصادي والامن الاجتماعي والامن الغذائي والامن الصحي والامن البيئي والامن الثقافي) (ادنوف، 2011، صفحة 185).

3. مصادر التهديد:

نقصد بمصادر التهديد القوى والمؤسسات التي تسعى الى تشويه او اختراق منظوماتنا التربوية على نحو يحرفها عن اهدافها ويؤدي بالتالي الى اشاعة حالة من الفوضى واللايقين والاغتراب والفشل في بناء نمط من الشخصية السوية القادرة على الانجاز. ان عالم اليوم هو عالم الصراعات المتواصلة الذي تعد التربية فيه وسيلة وغاية معاً. فهما اداة الهجوم والاختراق، كما انها في ذلك تستهدف تغيير النظام التربوي معرفياً. يمكن ملاحظة ان بعض النظم تفرز احياناً نقيضها من خلال تأويل خاطئ ومقصود لمبادئها او ايجاد بديل لها. فالاتجاهات السلفية التفكيرية تنطلق من الدين بهدف تشويهه، والفضائيات الاباحية، تعمل على تسويق (اخلاقيات) منحرفة فيما تسعى بعض الادبيات والفلسفات الى تدمير العلاقات الاسرية وقيم الزواج.

ان مصادر التهديد متعدده بل وكثيرة ولذلك سنركز على المهم منها فيما يأتي:

ثانياً: اطار منهجي

1. المشكلة:

يمكن القول ان عالمنا المعاصر يواجه تهديدات مختلفة وذات مصادر متعددة. انه عالم مسكون بالصراع والمخاطرة واذا كانت ادوات مثل الحرمان من الطاقة او من التسهيلات الاقتصادية، او العزل السياسي وغيرها فان ما نسميه (التسميم التربوي) هو احد الادوات الخطيرة الناجمة عن عمليات تزوير وتشويه للمضمون المعرفي والقيمي والاخلاقي للتربية والذي تستخدم لتحقيقه شتى الوسائل المادية والفكرية.

تكمن المشكلة في ان الانسان كائن محتاج للمعرفة. كما انه في الوقت ذاته يمتلك القدرة على التكيف وتغيير ما تعلمه سواء كان البديل المعرفي ايجابياً او سلبياً. وطوال تاريخ الانسان كان هناك جدل بين الحقائق ونقيضها او بين المعارف الصحيحة والاخرى المشوهة او المزورة والصراع بين الحق والباطل هو صراع معرفي في جانب منه، ان ذلك الصراع تطور احيانا الى استخدام الاسلحة في حروب دموية لكنه في احيان اخرى كان يجري بهدوء ولكنه بإصرار وضراوة. ويمكن النظر الى عمليات الدعاية وغسيل الدماغ من زاوية كونها عمليات استهدفت زرع مفاهيم ومبادئ واخلاقيات لتشكل مرجعية للسلوك والتفكير ان كل الايديولوجيات الكبرى في تاريخ الانسان استخدمت التربية بصيغتها المختلفة لتغيير الولاءات والقناعات والاتجاهات في هذه الدراسة نطرح سؤالاً رئيساً يتلخص في:

ماهي الثغرات او المصادر التي تهدد الامن التربوي في مجتمعنا ؟

2. هدف الدراسة:

(*) تشير المصادر اللغوية الى امن حكمة امن تقابل مفرده (الخوف). فالامن يعني اقصاء الخوف والقلق وتوفير السلامة والطمأنينة. ويشير كاوفمان الى امن اغلب وجهات النظر حول المفهوم تلتقي في : التحرر من الخوف.

من المؤكد ان المؤسسات التربوية تختلف من حيث فاعليتها ومدى حصانتها من مجتمع لآخر ففي بعض المجتمعات نجد تأكيد على دور المدرسة او الاسرة في حين نجد في مجتمعات اخرى على الدور التربوي للأحزاب او الايديولوجيات السياسية. كما ان تلك الادوار تختلف في حالات الحرب والسلم بين المجتمعات وجماعات العقائد المختلفة. ويشهد عالم اليوم اصنافاً متعددة من المذاهب التربوية (الذهب، 2002، صفحة 93 وما بعدها) التي لا تقف عند حد عرض آرائها بهدوء وموضوعية بل تسعى الى نشرها بشتى الطرق المتاحة وعلى نحو يدخلها في صراع مع بعضها بحيث تصبح كل منها مصدر تهديد للأخر. ان مجتمعنا العراقي واغلب سكانه من المسلمين هو مجتمع تعددي، يوجه سلوكيات افراده وجماعاته من خلال منظومات قيمية واخلاقية، ويؤسس لمساره السياسي نظاماً ديمقراطياً، مشكلاً بذلك كله منظومة تربوية متعددة الاوجه توفر للإنسان شعوراً بالاندماج والطمأنينة النفسية والقدرة على التسامح والحوار. غير ان هناك بالمقابل مصادر تهديد لهذه المنظومة تستهدف تشويهها او حرف مساراتها على نحو يهدد الفرد والمجتمع معاً. ان هذه الدراسة تستهدف التعرف على تلك المصادر.

3. الاطار النظري:

المعرفة الانسانية لا توجد في فراغ بل هي انعكاس للأوضاع السائدة في مجتمع معين وفي زمن معين. وحين نتكلم عن التربية نجد ان مضامينها المعرفية واساليبها ومؤسساتها خضعت للتغيير متأثرة بعوامل مستجدة من تلك الاوضاع. ففي الماضي كانت المؤسسات الدينية والكتاتيب مصدر المعارف المختلفة، حتى ظهرت المدارس والجامعات، والمؤسسات الثقافية المختلفة، وفي الوقت ذاته تراجع الدور التربوي للاسرة فيما اصبحت المدارس اداة الدولة الرئيسة ليس كمصدر للمعارف فقط، بل لبناء شخصية تمتلك القدرة على استيعاب تلك المعارف والتكيف لمتطلباتها. القضية الاولى في هذا الاطار النظري اذن هي:

1. ان المنظومات التربوية تطورت من حيث مضامينها المعرفية والقيمية والاخلاقية ومن حيث اساليبها ووسائلها عبر العصور (الهادي، 2002، صفحة 55 وما بعدها)

ان تلك المنظومات التربوية لم تعد منقطعة عن بعضها في عالم يصغر بتأثير وسائل الاتصال المختلفة ومع ظهور فلسفات متباينة ذات اهداف متناقضة فان هذه الحقيقة تقودنا الى القضية الثانية:

2. ان المنظومات او المذاهب التربوية في عالمنا المعاصر داخلة في صراعات علنية او خفية في محاولة كل منها الهيمنة على الاخرى او تغيير مساراتها واساليبها ومضامينها.
3. ان النظم التربوية ليست مجرد نظم مدرسية تعليمية بل هي في جوهرها نظم ثقافية، تنتقل كتراث اجتماعي من جيل الى جيل لكي تحقق العديد من الوظائف المهمة في حياة الانسان لعل اهمها تعزيز عضويته الاجتماعية من خلال قدرته على اداء الادوار المناطة به، والتعاون مع الاخرين لإشباع حاجاتهم المتبادلة وتأسيس مشاعر الاطمئنان الناجمة عن القدرة على توقع سلوك الاخرين والتفاعل مع مؤسسات المجتمع المختلفة.
4. ان اختراق المنظومات التربوية، يهدد في النهاية، شعور الانسان والمجتمع معاً بالأمن والسلامة، ويثير مشاعر الخوف والفوضى والعزلة عن الاخرين، ويضعف بالتالي درجة انتماء الفرد للمجتمع، بل ويجعل المجتمع مكشوفاً هشاً امام اعدائه.
5. ان من المهم التعرف على مصادر تهديد المنظومات التربوية واقتراح بعض الوسائل الضرورية للحد من آثارها.

ثالثاً: مصادر تهديد النظم التربوية

الكلام عن النظم التربوية لا يستثني النظم التقليدية لكنه ايضاً يشير الى نظم متعددة لكنها تتداخل فتتكامل احياناً او تتقاطع تبعاً للظروف السائدة في المجتمع. كان عالم الاجتماع هربرت سبنسر يرى (ان التربية هي اعداد المرء لأن يحيا حياة كاملة) ويمكن ان نضيف لهذه العبارة توصيفات اخرى مثل (آمنة ومنجزة). ان هذه النظم التي تشكل مركب التربية الكلي والمعقد هي بالتأكيد تتبادل التأثير والتفاعل الوظيفي فالدين لا يمكن فصله عن الاخلاق، كما ان العلاقات الاسرية، لا تنفصل عن القانون والاعراف، فهناك ما اسماه عالما الاجتماع ماكيفر ويبيج (العلاقات الوظيفية المتبادلة بين النظم). (بدج، 1961، صفحة 39)

في الصفحات التالية سنتناول مصادر تهديد النظم التربوية آخذين بنظر الاعتبار ان بعض التهديد قد لا يكون مباشراً لكن بعضه الاخر مباشر ومقصود.

1. البدع(*) (منظور، 2005، صفحة 37) (الخشن، 2006، صفحة 178) **والديانات البديلة:**

من المهم الاشارة ابتداء الى مسألتين.

الاولى ان البدع في الاسلام كثيرة لكننا هنا نتكلم عن بدع نعيشها ونعدها اختراقاً لأمننا التربوي. الثاني ان الفرد ككائن اجتماعي محكوم دائماً بمحيطه الاجتماعي وان بنيته العقلية او ما يسمى بالشخصية القاعدية هي الى حد كبير- بالنسبة للإنسان العربي (والمسلم عامة) نتاج المؤسسات الدينية والمعتقدات الدينية التي شكلت الى حد ما نظاماً تربوياً ضمن محيطه الثقافي الذي كان يقدم له تصوراً عن العالم وانماطاً من السلوك على مختلف الصعد الاجتماعية (الديك، 2000، صفحة 113) وهذا يعني ان تهديد النظام الديني كجزء من المركب او النظام التربوي الاوسع يشكل خطراً جسيماً على امن الفرد والمجتمع معاً، ذلك ان الدين يعبر عن الحاجات الانسانية للقيم والمبادئ الاخلاقية او التغلب على القلق والخوف والبؤس وكان عالم الاجتماع دوركهايم قد اكد على الوظيفة الايجابية للدين فوظيفة الدين هي تحقيق وحدة المجتمع ويلاحظ ان كلمة الدين مشتقة في اللغات الغربية من الكلمة اللاتينية Religare التي تعني وحدة الجماعة وهويتها (بركات، 2000، صفحة 429).

(*) بدع الشيء وابتدعه انشأه. والبدعة كما يقول ابن الاثير بدعتان بدعة هدى وبدعة ضلال فما كان خلاف ما امر الله به رسوله فهو في حيز الذم والانكار وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله اليه وحضي علية او رسوله فهو حيز المدح.

البدع التي نتكلم عنها هنا ضلالات استهدفت تشويه المضمون التربوي والاخلاقي والروحي للدين من خلال تأويل مبادئه على نحو خاطئ مقصود. وقد ازدحم التاريخ الاسلامي بسلوكيات واخبار جماعات ابتدعت رؤى مضللة للدين الاسلامي، ومنها على سبيل المثال الخوارج والحشاشين والقرامطة وغيرهم (اسماعيل, 2006, ص ص 17 -117).

ولقد كان الغلو احد هذه المظاهر التاريخية، والتي لاتزال تمارس دورا خطير في التأثير على الامن التربوي للمجتمع، "ولعل اخطر أشكال الغلو هو الاعتقاد الذي يعتمد المنهج التكفيري لمن سواه، مما يبيح له ارتكاب الجرائم بحقه ومنابذته ومعاداته. كما أن الغلو في التفكير والزعم باحتكار الحقيقة يولد الضغائن والاحقاد ويوقع القطيعة بين أبناء المجتمع الواحد مما يدفع إلى تقويض الأمن الاجتماعي وزعزعة أركانه" (زايد، 2018، صفحة 106).

إن للمسلم البسيط – وحتى المثقف- لديه صورا ذهنية عن المبادئ الاساسية في الاسلام ومنها التسامح واحترام الاخر والجدل بالتي هي احسن (الحوار) الى جانب تقديس واحترام الحياة الاسرية والتواضع والتراحم والنصيحة والتكافل والكثير من القيم الأخرى المعروفة. غير اننا اليوم نواجه بدعة مضلة، وهي ما يسمى بالفكر السلفي التكفيري الذي يسعى الى ضرب وتشويه عقيدة الامة، وتمزيق وحدتها بتصنيف انسانها الى (كافر ومؤمن) والحكم على الاول بالموت قتلاً وذبحاً وتهيئة الثاني للموت انتحاراً.

ان مراجعة لهذا الفكر تظهر انه يهاجم ويزور ويشوه اشد المبادئ الاسلامية انسانية انطلاقاً من رؤية ماضوية تسلخ الآيات القرآنية من اسباب نزولها حتى تصبح صالحة للتطبيق بغض النظر عن متغيرات العصر وبذلك تظهر الاسلام عقيدة جامدة وتصادر قدرة الانسان المسلم على النظر العقلي. وفي هذا السياق اعتمد ما يسمى (فقه الواقع) وبموجبه لم يعد الاجتهاد الصحيح مقصوراً على الراسخين في العلم بل يملكه ايضاً من لا يملك سوى (الايمان) وحفظ الاحكام والنصوص كما تم تشريع قتل المدنيين العزل والذبح والنحر والنهب والسبي والاغتيال السياسي.... الخ باسم الدين. (الشمري، بدون تاريخ، صفحة 54)

ان هذا الفكر يفسح المجال لتحويل المجتمع الى غابة تفتقر الى الحد الادنى من الامن والامان اذ تبرر وتبيح ان يقتل الانسان اخاه الانسان لمجرد اتهامه بالكفر دون قرينة او دليل. كذلك ثمة نوعين من المخاطر تنتج عن هذا الفكر:

أ- انه يلغي كل اشكال التعددية، فيبيح الاستئصال الديموغرافي للمسيحيين والايزيديين والشبك، واليهود (الشمري، بدون تاريخ، صفحة 72)، وقد بدا ذلك واضحا في سلوك مقاتلي تنظيم داعش الارهابي الذي عمل على قتل وطرد واستباحة حرمات المسيحيين والايزيديين والشيعة وغيرهم اثر احتلال الموصل. ان هذا الفكر يلغي اهم سمات ثقافتنا العراقية ونسيج مجتمعنا ممثلاً بالتعددية المتعايشة والمتفاعلة طوال تاريخ من المشاركة في بناء حضارة شهد لها العالم بالأبداع والانجاز.

ب- يتمثل الخطر الاخر على مجتمعنا ونحن نسعى لبناء نظام سياسي ديمقراطي قاعدته الانتخاب الحر والعمل المؤسسي، وهو نظام يجعلنا في تواصل ومجاراة مع تيارات الحداثة وحقوق الانسان يتمثل في ان ذلك الفكر يعلن الهجوم على الحداثة ويبرر التراجع الى (ديكتاتورية الخليفة). فالإسلام طبقاً لأدبيات ذلك الفكر لا يمكن ان يقبل بما استنتجته المجتمعات الاخرى من مؤسسات وانظمة ادارة سياسية واقتصادية باعتبارها لا تصدر عن القانون الالهي. وفي هذه الادبيات نجد رفضاً لما يسمى (الحكومات المرتدة التي تبنت المذهب الديمقراطي الكفري وكذلك انصارها... فالواجب قتالهم... فالديمقراطية دين قائم بذاته ومن اعتنقها وقع في الشرك الاكبر... فالتشريع الديمقراطي كفري والانتخابات شركية وكل من نواب البرلمانات ومن ينتخبوهم من الشعب واقع في الكفر... وهكذا فنحن لسنا ازاء الدين بل ايديولوجية سياسية دينية تؤول وتسخر المقدس الديني لصالح رهانات دنيوية ونزاعات بشرية محورها قضية السلطة السياسية وادارة الشأن العام (الهرماسي، 2010، الصفحات 45-53) (الشمري، بدون تاريخ، صفحة 33).

ان هذا الفكر التكفيري يعمل على اصطناع (دين شعبوي، انحرافي) يجرد المجتمع الحديث من توجهاته المبدأيه واهمها المساواة على قاعدة الحقوق والواجبات، والتضامن على قاعدة المشاركة في المسؤوليات. فهل ثمة تهديد اعظم من ذلك لمنظوماتنا التربوية؟

لقد قاد التفسير الوهابي السلفي للنص الديني المقدس، الى خلق نزعة التطرف والاقصاء والتفسير الواحد، وهذا ماجر البعض الى(عملية تبني نظام الاعتقاد المتطرف، بما في ذلك الرغبة في استخدام العنف أو دعمه أو تسهيله كوسيلة للتأثير على التغيير المجتمعي، والنتيجة هي حالة التطرف) (Ghosh etal, 2016, p. 12).

من السمات المشتركة للراديكاليين المعاصرين، هي عدم التسامح الإيديولوجي، الذي يصور نظام الاعتقاد ويرفض "التسامح مع ممارسات و/ أو معتقدات و/ أو مبادئ الأفراد أو الجماعات الأخرى. ويشمل التعصب وإظهار الكراهية و/ أو العداوة تجاه أولئك الذين يعارضون أو لا يتفقون مع أنظمة المعتقدات " (Ghosh etal, 2016, p. 12)

من جانب اخر يلفت عالما الاجتماع ماكيفر وبييج انتباهنا الى مسألة مهمة ذات صلة بالدين بوصفه جزء لا يتجزأ من منظومتنا التربوية وهي ما اسمياه (الديانات البديلة) حيث ترتبط الخصائص العاطفية التي تصاحب اداء الواجبات الدينية بعناصر لادينية بل مضادة للدين (بدج، 1961، صفحة 333) ان من الديانات البديلة التي يمكن ان تهدد امننا التربوي ايديولوجيات وضعية مثل الماركسية والنازية وغيرها التي تسعى الى اعادة تنشئة الفرد على نحو يصادر قيمه الروحية والاخلاقية ومبادئ دينه ليتحول الى ممارسة عبادات ارضية للحكام او للأنظمة. لقد جرب العراقيون خلال سنوات تاريخهم القريب كيف ان ايديولوجيات مثل الشيوعية والبعثية عملت على تخريب مجتمعنا وتدمير منظوماتنا الدينية والاخلاقية وتكريس العداء بين مكونات شعبنا.

2. تدمير المنظومات الاخلاقية:

عالمنا الواسع جغرافياً تختصره وسائل الاتصال الحديثة. فتقرب البعيد وتختصر الزمن، ويصبح التفاعل الحضاري وتبادل المعلومات وانتقال انماط العيش واساليب الحياة ممكناً فيكون للمجتمعات ذات القدرات التكنولوجية المتفوقة دورها في التأثير على المجتمعات الاقل تقدماً، والاكثر عرضة للانبهار بالجديد دون رؤية نقدية لسلبياته وإيجابياته. ويبدو إن عمليات الغزو والاختراق الثقافي تتواصل في عالم اليوم اما لتعميم النموذج الغربي- الرأسمالي المعولم او لتدمير المنظومات الاخلاقية التي تعمل كمرجعيات للسلوك والمواقف في الحياة اليومية، والتي من خلالها تكتسب النظم المختلفة مبرراتها ومضامينها الروحية.

ولعل اول ما يلفت انتباه المتابع هو ان وسائل الاتصال الحديثة كالأنترنت مثلا قد اصبحت احدى آليات التنشئة الاجتماعية والتعلم. لقد فرض علينا الحاسوب الدخول الى المجتمع العالمي بثقافته الجديدة وما تحويه من اقتصاد جديد وعادات وتقاليد ولغة ونمط عيش تختلف عما تربينا عليه في مجتمعاتنا الانسانية. لقد اصبح هناك مجتمع بلا حدود تمثل بالفضاء الواسع الذي يزيد من القواسم المشتركة بين الافراد بعد ما جهدت المجتمعات طويلا للحفاظ على خصوصياتها الثقافية (منصوري، 2014، صفحة 18).

ان المنظومات التربوية في كل مجتمع تستمد من الثقافة سماتها المميزة عن المنظومات التربوية في المجتمعات الاخرى ويعد هذا التمايز احد خصوصيات الهوية. ان التفاعل بين الثقافات الانسانية مطلوب لكي يتبادل البشر الخبرة، ونتائج التجارب العلمية، والله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم انه جعل الشعوب والقبائل قادرة على التعارف(*). ولكن تبادل الخبرة والعلوم الطبيعية والتكنولوجيا – وبالرغم من تأثيراتها الاجتماعية والنفسية - تبدو محايدة مقابل العادات والتقاليد والاخلاق والقيم التي حين يؤخذ بها دون نقد وتدبر ربما تؤدي الى اضرار بالمنظومات التربوية و تشكل بالتالي اختراقاً لأمن المجتمع وحصانته الثقافية.

لقد عد الباحثون وسائل الاعلام المقروءة او المسموعة او المرئية او الرمزية احدى وكالات التطبيع (التنشئة الاجتماعية). فالاتصال هو علم التفاعل الذي تترتب عليه نتائج سلوكية متوقعة (الذهب، 2002، صفحة 10) وغير متوقعة. اذ انها سلاح ذو حدين يمكن ان تتسرب منها عناصر ثقافية مضرة ومفسدة لا تلائم القيم الانسانية وقد يتمثل فيها الغزو الثقافي بأدق معانيه. ومن ثم اصبحت هذه الوسائل قادرة على خلق بيئة تربوية تتجاوز احتكار النظام التعليمي المدرسي التقليدي للعلم والمعرفة (الذهب, 2002, ص ص 190 -191).

لقد أصبحت هذه الوسائل احد أخطر الأدوات في استجلاب وترسيخ الانحراف، (خاصة في ظل متغيرات العصر، وتحديات ثورتي المعلوماتية والاتصالات وتأثيرهما الكبير على البشر خاصة النشيء والشباب مما يشير إلى ضرورة الانتباه الى أبعاد أخرى من الامن، من أهمها الامن التربوي الذي يُعد جزءاً لا يتجزأ من الامن القومي الذيُعرف في أحد الادبيات على أنه: "قدرة الدولة على حماية المجتمع- قيمه وموارده - من الاختراق والاستقطاب الخارجي من خلال قوة ردع كافية وتقليص التبعية للخارج وتحقيق الاستقرار الداخلي من خلال قواعد العدل الاجتماعي") (زايد، 2018، صفحة 106).

ان للقيم الجنسية في مجتمعنا اهمية تصل حد الخطورة والحساسية المفرطة. فهي تنظم العلاقات ما بين الذكور والاناث وترسم حدود الحلال والحرام، فضلاً عن علاقات الزواج، وآداب الاتصال الجنسي، ومسوغاته مع ملاحظة ان كلمة الجنس (sex) لم ترد في اي آية من آيات القرآن الكريم ونظراً للأهمية التي تكتسبها القيم الجنسية في منظوماتنا التربوية والتي يفترض ان تشكل حصانة للشباب ومرجعية اخلاقية لهم يمكن ان نلاحظ – بالمقابل- ان هناك محاولات حثيثة ومنظمة ومتواصلة لتحطيم تلك القيم ولذلك قد يندهش المتابع حين يلاحظ اصراراً من جهات عديدة بعضها معروف وبعضها خفي على متابعة تلك المحاولات وتكثيفها.

ان النشاطات على الانترنت قد تتحول الى نشاطات جنسية بل قد تكون جزء لا يتجزأ من ثورة جنسية جديدة تتضمن تسوق المنتجات الجنسية ومشاهدة الصور او الافلام الاباحية واقامة العلاقات الجنسية في الفضاء السايبري. لقد اصبح بإمكان اي مراهق يمتلك جهاز كومبيوتر واشتراك انترنت وكاميرا التواصل مع من يشاء ما سمح بسهولة احتكاك المراهقين الذين تستهويهم المغامرات. اذ يمكن للمراهق ان يتواصل على الخط مع احدى الفتيات التي يختارها ويتبادل معها علاقات افتراضية (وقد يكون ذلك لقاء بدل مادي يدفعه عبر بطاقة الائتمان... ويلاحظ ان العديد من هذه العلاقات لا يبقى في حدود الشاشة بل ينتقل الى العالم الواقعي مما يقودنا الى مفاهيم جديدة من العلاقات الاجتماعية وتصبح آليات التربية معقدة للغاية (منصوري، 2014، صفحة 127).

ولا يتوقف الامر عند ذلك فهناك مواقع وكتب الكترونية جنسية الى جانب ان الفيسبوك الجنسي يسمح بالتقاء ما يفوق 500.000 مشترك من الاصدقاء الراغبين بإقامة علاقات جنسية افتراضية.. ان كثير من هذه الممارسات تكسر جدار القيم (منصوري، 2014، الصفحات 128-129) وتحطم ما تعارف الناس عليه من عادات وتقاليد وضوابط ومحرمات.

(*) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ, القران الكريم, (13) سورة الحجرات

ولعل اخطر ما يمكن ان تقدمه وسائل الاتصال عبر الفضائيات هو الافلام الاباحية ذات الاثار الخطرة على نفسية الانسان وعقله وعلاقاته وقد وصفها الباحثون بانها طاعون العصر نظراً لسعة انتشارها اذ تشير البيانات المتاحة الى ان (28258) شخصاً يشاهدون مادة اباحية في كل ثانية وان فلماً اباحياً جديداً ينتج كل (39) دقيقة وقدر عدد زوار المواقع كل شهر بحوالي (72) مليون شخص وتوجد على شبكة الانترنت (420) مليون صفحة اباحية فضلاً عن (100) الف موقع محرم قانوناً يقدم افلاماً عن ممارسات جنسية مع الاطفال.واظهرت دراسة اجرتها جامعة كارنيجي ميلدن بعد دراسة احصائية لحوالي (917410) صورة استرجعت (805) مليون مرة من (2000) مدينة في (40) دولة ان نصف الصور المستعادة هي صور اباحية (حمزة، 2012، الصفحات 222-223).

ان هذا الانتشار للافلام والصور الاباحية هو بالتاكيد احد الادلة على قوة وخطورة التهديد الموجه للنظام التربوي وما يعززه ذلك من مخاطر على الانظمة الاخرى الاسرية والقانونية والتعليمية.... الخ.

لقد اظهرت دراسات عديدة ان هناك صلة قوية بين مشاهدة المواد الاباحية وبين الجريمة والسلوك العنيف اذ اظهرت دراسة لـ FBI الامريكية (الشرطة الفيدرالية) بعد استجواب لـ(24) نزيلاً في السجون اغتصب كلهم او قتل عدداً من الاطفال والبالغين ان (81%) منهم كان يشاهد هذه المواد بكثرة. يذهب الاستاذ احمد المجدوب ان انتشار هذه المواد يدل على انهيار المواد الخلقية وان من آثارها فقدان الانسان لأنسانيته وعدم احترامه لذاته والاحساس بالضياع والقلق وتصدع قيم الحياة الزوجية واسس استقرارها. كذلك اظهرت دراسات اخرى ان مشاهدة هذه المواد تؤدي الى مايسمى (صدأ او تأكل الضمير). (حمزة، 2012، الصفحات 235-236)

ان وسائل الاتصال اصبحت خارج السيطرة وهي تشكل تهديداً مباشراً وخطيراً لنظمننا التربوية وتصادر طابع الاحترام والحياء في حياتنا العاطفية وعلاقاتنا الروحية وتدنس مقدساتنا والقيم الطيبة الكريمة التي توارثناها.

3. تحريف المناهج المدرسية

بقدر ما تمثل المدرسة قوة حصانة وحماية لنظامنا التربوي بوصفها الجزء او العنصر المهم فيه فان المدرسة يمكن ايضاً ان تستغل لاختراق ذلك النظام وتهديد منظوماته القيمة. علماً ان اولى المدارس في تاريخ الانسان وجدت في العراق القديم اي منذ مئات السنين قبل الميلاد. لكن المدرسة اليوم هي حصيلة نهائية لقرون من التطور ادت الى ان تصبح المجتمعات اكثر معرفة بنفسها وبتاريخها وبموقعها قياساً على المجتمعات الاخرى. ان الناس في المجتمعات الحديثة ينبغي ان يتعلموا مهارات اساسية مثل القراءة والكتابة والحساب بالإضافة الى تعاريف عامة مهمة عن بيئتهم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية كما ان المدرسة تفتح افاقاً جديدة لتكريس مفاهيم المواطنة والمشاركة في حياة المجتمعات. (جدنز، 2005، صفحة 537 ، ص 540)

على ان هذه الوظائف الانسانية المهمة للمدرسة يمكن ان تنقلب تماماً الى الضد منها حين يتم تحريف المناهج وتسميم مضمونها المعرفي وتزوير حقائقها التاريخية وتأويل المبادئ والعقائد الواردة في سياقاتها. ان كثيراً من قيادات داعش سبق ان تخرجوا من مدارس (دينية).

وفي افغانستان وباكستان اليوم مئات المدارس التي تقدم لتلاميذها معارف مشوهة وتأويلات تشكل انتهاكاً للقيم العليا التي تمثلها المدارس بوصفها جزءاً مهما من النظام التربوي. فالمدرسة مؤسسة عامة انشاها المجتمع لتتولى تربية النشئ. وثمة مقولة لبسمارك يرى فيها (ان الذي يدير المدرسة يدير مستقبل البلاد) ويقول جون ديوي: ان (بامكان المدرسة ان تغيير نظام المجتمع الى حد معين تعجز عنه مؤسسات اخرى (الهادي، 2002، صفحة 250). علما ان الطفل اشد تأثراً من كبار السن والشباب بما يمليه عليه المعلمون وبالتالي فان المعلمين يشاركون الاباء والامهات في بناء شخصيات الاطفال. ان المؤسسات التربوية وعلى رأسها المدرسة لا تستهدف توفير قدرات القراءة والكتابة ومحو الامية الا بجدية بل هي مؤسسات بناء وتشكيل قدرات الانسان وجعله موجودا له قيمة قادرا على استيعاب المنجزات الحالية والمستقبلية توظيفاً وانتفاعاً (باحثين، 1999، صفحة 257) وكما ان للتعليم دوره في التنشئة الاجتماعية فان له دوره في الحراك الاجتماعي مما يدفع بالجميع نحو تحمل نفقاته والسعي نحو الاستزادة منه الا ان التعلم لا يمكن ان يحقق الامن الاجتماعي الا بتوافر شروط معينة مثل احترام حق التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية (باحثين، 1999، صفحة 307) مع ضرورة ان تكون المناهج التعليمية ذات مضامين علمية وانسانية واخلاقية.

ان من اهم المخاطر التي تصدر عن المؤسسة التعليمية وتهدد بالتالي المنظومة التربوية ما يلي:

يرى البعض ان المؤسسة التعليمية قد تكون جهازا يؤدي الى تكوين وعي زائف أو الى تزييف الوعي الاجتماعي من خلال العلاقة بين المنهج والمعلم والتلميذ.

ومن المتوقع ان يسهم التعليم في صياغة شخصية المواطن المستقبلية الا انه في بعض الاحيان

أ- يرى البعض ان المؤسسة التعليمية قد تكون جهازاً يؤدي الى تكوين وعي زائف او الى تزييف الوعي الاجتماعي من خلال العلاقة بين المنهج والمعلم والتلميذ. ومن المتوقع ان يسهم التعليم في صياغة شخصية المواطن المستقبلية الا انه في بعض الاحيان يعكس مصالح الطبقة المسيطرة وقد اظهرت دراسة للدكتور عبد الباسط عبد المعطي ان التعليم نظاماً وعملية ومخرجات يسهم في تزييف الوعي الاجتماعي للتلاميذ (ناصر، 1995، صفحة 272)

ب- تفقد المدرسة وظيفتها الاجتماعية والثقافية ويتضائل دورها التربوي حين تحث على التعصب والتكفير واشاعة الطائفية العقدية والسياسية، بدلا من ان تنمي علاقات التضامن ومشاعر الانتماء للمجتمع، واعلاء قيمة الوطن.

ج- كذلك تفقد المدرسة وظيفتها التربوية حين يتعمد واضعوا مناهجها على التزام مبدأ التجهيل بالآخر ثقافة وتاريخاً بحيث تظل جماعات المجتمع واطيافه في حالة اغتراب عن بعضها مما يشجع على تكوين صور نمطية غير حقيقية تسمم الثقافة الوطنية وتشجع على العنف والعدوان.

د- التأكيد على الماضي بدلا من الحاضر والمستقبل وعلى نحو يجعل نظامنا التربوي خارج العصر كما يجعله مستهدفا من قبل الاجهزة الاجنبية التي تراه متخلف فتعمل على زيادة تخلفه وتسميم مضمونه باسم التحديث.

رابعاً: آثار تهديد النظام التربوي

ان التهديد الذي تتعرض له أي امة يكمن في الدرجة الأولى بتهديد الامن التربوي، اذ أن "الأمن التربوي يقصد به أن يكون لكل أمة أفكارها التربوية النابعة من قيمها وثوابتها العقدية والفلسفية، والتي تصوغ هويتها وتشكل شخصيتها، حيث تستطيع الأمة أن تحصن وتقي نفسها، من مخاطر الأفكار الهدامة، والنظريات الوافدة، فلا تكون عرضة لتغيير عاصف يشتت الملامح، ولا تستجيب لمعاول الهدم التي تتسلل تحت ستار التجديد والتطوير ومواكبة العصر، فالتربية بمفهومها الواسع تعنى بالتعرف على طاقات الفرد وتنميتها وتوجيهها وجهة سليمة تحقق له الأمن في تعامله مع الآخرين" (الدهشان، 2018).

ثمة حروب علنية واخرى سرية، ويمكن القول دون ايمان بنظرية المؤامرة – ان هناك حرباً خفية تجري ضد نظامنا التربوي بكل مكوناته الدينية والاخلاقية والروحية فضلاً عن تسخيف وتزوير خبراته وتجاربه التاريخية بكل ما يعنيه ذلك من انعكاسات نفسية واجتماعية على الفرد والمجتمع في الحاضر والمستقبل.

يمكن تشخيص بعض مخرجات تهديد النظام التربوي فيما يأتي:

1- ان تشويه المنظومة التربوية ينعكس سلباً على هويتنا الوطنية باعتبار ان المنظومات القيمية التي تشكل جوهر تلك المنظومة تتميز بخصوصية خبراتنا الاجتماعية وتاريخنا فضلاً عن خصوصية عقائدنا ورؤيتنا للعالم المحيط بناء والواقع ان كثيرا من مصادر التهديد بما فيها الحركات الدينية التكفيرية والمدارس التبشيرية وعمليات الغزو الثقافي استهدفت تغييب خصوصية هويتنا الوطنية او تشويهها.

2- ان بعض مصادر التهديد لنظامنا التربوي شجعت على اثارة وتبرير التعصب واضعاف روح التسامح في علاقتنا الاجتماعية فالتفرقة الطائفية التي تتبناها وسائل الاعلام المختلفة وعلى رأسها الفضائيات المأجورة لأغراض سياسية عملت بدأً على تفكيك نظامنا التربوي على اساس طائفي يشكل مانعاً من قيام علاقات تكافلية او عائلية او اقتصادية وغيرها ما يؤدي الى اثارة الضغائن والكراهية. وكذلك فان بعض وسائل الاعلام المعولمة اذ تسعى الى دمج الثقافات في ثقافة واحدة والى اعادة تشكيل الحياة الاجتماعية للشعوب على نمط الحياة الغربية ثم قولبة الانسان بحسب النموذج الاجتماعي الغربي (عمر، 2003، صفحة 169) فأنها في الوقت ذاته تسعى الى تفكيك ثقافات وجماعات المجتمع الواحد. ان ما نشهده في مجتمعنا اليوم من تفكك مقصود للأطياف والجماعات الاثنية يظهر ان الوجه الاخر لهذا التفكيك يبدو في تمزيق منظومتنا التربوية التي كانت نتاجاً للجميع وليس بجماعة بعينها. ان داعش في كل اعلامه المسموم يسعى الى تشويه وتحريف منظومتنا التربوية من خلال رؤية ضيقة للدين وتصور مريض لعلاقات المواطنة.

3- ان النظم التربوية ليست جامدة بل هي –ان اريد لها ان تنمو وتتطور ويكون لها حضور مؤثر- لابد ان تنفتح للمتغيرات العصرية، معرفياً وعلمياً وتكنولوجياً وان تتحرر من اي نوع من التحجر الايديولوجي، غير ان مصادر التهديد تستهدف جعل تلك المنظومة خارج العصر حتى تنبذ العلم، وتحذر من الانفتاح على حركة العالم وتتمسك بالماضي الغابر في محاولة يائسة لإعادة انتاجه في زمن غير زمنه. ان امامنا اليوم نموذج لهذا النمط من التربية / التهديد وهو نمط التعليم السائد الان في الجزيرة العربية المستند الى المذهب التربوي السلفي المحافظ الذي يستبعد العلوم العقلية والفلسفية والوقوف عند ظاهر النص وعدم تخطيه او تأويله بما يرى العقل او يشير اليه الدليل والعودة بمفهوم الاسلام الى ما كان عليه في العصر الاول (الذهب، 2002، الصفحات 105-106). ولذا فان النظم التربوية المرنة التي تستوعب متغيرات الحاضر والمستقبل تكون اكثر كفاءة واقوى على تعزيز شروط وجودها واستمرارها وبالعكس فان انغلاقها يجعلها عقبة تحول دون تطور المجتمع والانسان.

4- ان احد مخرجات التهديد المهمة يتمثل في اشاعة الغيبيات الباطلة والاوهام وجعل المثيولوجيا (الاساطير) بديلا للعلم. ان العقلانية واستخدام العلم هي من اهم مظاهر التحديث فيما تعد الخرافة ايا كان مضمونها بمثابة اهدار للقيم الانسانية في النظام التربوي وانتهاك لقدرة الانسان على ان يمتلك زمام نفسه والطبيعة المحيطة به.

5- من مخرجات تهديد النظام التربوي تعميق التمييز الجنوسي والحط من كرامة المرأة وقيمتها الانسانية. ان القيم التي يسعى داعش الى نشرها وتعزيزها تتجاوز على انسانية المرأة وتبرر سبيها والمتاجرة بها واستبعادها وحرمان المجتمع من قوة عملها وثمار ابداعها.

6- ان بعض مصادر تهديد النظام التربوي تصدر من داخله، بل هي لصيقة به تاريخياً ولم ينجح في التحرر منها وتجاوزها. ومنها ان النظام التعليمي مازال يستند الى مبدأ التلقين الذي يكون المتلقى – الطالب- بموجبه مجرد متلقى سلبي يحفظ المادة دون ان يفكر بها ويرددها على نحو ببغائي. كذلك فان من سلبيات نظامنا التربوي ذات الامتداد التاريخي، هي النظر الى الطفل بوصفه كائناً ناقص الانسانية، وبالتالي لا حقوق له بل ان من الممكن استخدامه باي شكل بما في ذلك تعريضه للموت كما يفعل تنظيم داعش. ومنها ان التعليم نظري منفصل عن التجربة والخبرة العلمية.

7- شهد المجتمع العراقي تحولات بنيوية ووظيفية عميقة ولكن نمط التنشئة الاجتماعية مازال يظهر في مضمونه تداخلاً – سماه الدكتور علي الوردي تناشزاً – مابين ضغوط التقليد ومقتضيات الحداثة مما يجعل الطفل يتعرض لتأثير نوعين غير متجانسين من القيم التربوية، احدهما يعزز في ذاته خضوعاً مطلقاً للاب مصدر السلطة، وثانيها يفتح له افاقاً جديداً في مجتمع يتغير بسرعة. يقول هشام شرابي ان التعليم في اطار العائلة يتميز بصيغتين رئيسيتين اولهما انه يقلل من اهمية الاقناع والمكافأة وثانيهما يزيد من اهمية العقاب الجسدي والتلقين (شرابي، 1975، صفحة 40) ان جذور السلطة الدكتاتورية في نظامنا التربوي تكمن في نمط التنشئة الاجتماعية الاسرية. ان هذه القضية مهمة جداً اذ ان طرق تربية الطفل تمثل دوراً حاسماً في تعيين نوعية الشخصية من حيث ارتباطها بمجتمع معين ودلالتها عليه ولذا فان فهم طرق تربية الطفل يؤدي الى فهم السلوك الاجتماعي ودوافعه في المجتمع (شرابي، 1975، صفحة 29)، وبالتالي فان نظامنا التربوي يتعرض لمخاطر جسيمة حين تكون مضامينه المعرفية ووسائله منقسمة او متناقضة اذ ان نمط السلطة الذي يسود في الاسرة هو ذاته الذي يتمدد الى المدرسة والدائرة والمجتمع المحلي وعلاقات الصداقة والعمل.

افاق للمستقبل:

تبدو مصادر تهديد الامن التربوي وكأنها جزءاً او عملية (طبيعية) تجري في سياقات التغيرات العميقة التي يشهدها العالم وتنعكس علينا دون ان نستجيب لتحدياتها بشكل فعال فالفكر الارهابي التكفيري ينتشر، والفضائيات الاباحية تصادر وعي الاف من الشباب وتنتهك حصانتهم الدينية والقيمية، والاسرة تتفكك، وتخضع المؤسسات الثقافية لقيم السوق وملزمات التجارة ومن ثم تتواصل مصادر التهديد في تأثيرها دون ان نفعل الكثير لمواجهة المخاطر الناجمة عنها.

من اجل تحقيق الامن التربوي لمجتمعاتنا لابد من صياغة استراتيجية امنية تربوية تعتمد على عناصر أساسية، وعناصر أخرى تتكامل معها.

ومن أهم هذه العناصر هو بناء قيم واخلاق تمتد أفقيا لكل المؤسسات التي يتشكل ويتربى في ظل قيمها الفرد، وتتمثل في البيت والمدرسة، والمراكز الدينية، وأول ما ينبغي القيام به متابعة الاثار النفسية والاجتماعية التي تركتها مرحلة وثقافة داعش على الافراد والجماعات والعملية التربوية برمتها، واعداد استراتيجية مضادة لها على يد المتخصصين في هذا المجال، ولاجل إزالة الرمزية الداعشية من نفوس الافراد لاسيما الأطفال، لابد من إحلال رمزيات جديدة مناقضة لرمزيات داعش، والتركيز على رموز التحرير، والتعاون الذي ابداه الناس فيما بينهم وصور التعاضد الاجتماعي في تلك الفترة القاسية، وصياغة البرامج التربوية الهادفة، والتركيز على العناصر المشتركة في الثقافة العراقية والبعد الإيجابي فيها، ولابد من افتتاح المراكز المتخصصة بمعالجة الحالات النفسية الصعبة والمستعصية لمن أصيب بصدمات حادة ومباشرة من السلوك والممارسات العنيفة لداعش، وكل الحركات المتطرفة.

على الدولة أن تتصدى عبر مواقع التواصل الاجتماعي والاعلام ومراكز البحوث ورجال الدين الواعين والمراكز والنوادي الاجتماعية، لمحاربة الخرافات، الدينية منها، وغير الدينية، لان ذلك يعتبر تهديدا للامن الاجتماعي وبالتالي تهديد للامن التربوي، فالخرافة تبني عقلا معتلا جاهلا قابلا للتلقي دون أي عملية نقدية، وقد يقود هذا المؤمنين بهذه الخرافات الى الاقدام على القيام باعمال أجرامية تنفيذا – بأعتقادهم - لفكرة خرافية يعتقدون انهم هم اهلا لتحقيق نبؤتها.

كما علينا الانتباه وبقوة لثقافة الغلو والبدع، التي تعكس صورة مشوهة للدين الإسلامي الحنيف الذي بني على الوعي والعقل والايمان النقي القائم على المحبة واحترام الانسان، وخياراته في الحياة **(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة:256]**، وهذا يقتضي اطلاق حرية الانسان في اختياراته طالما انه مسؤول عنها، مع توجيهه بالشكل السليم والهادئ والعقلاني، وتعريفه بالمعنى الحقيقي للتوحيد، ودور الأنبياء في بناء الفرد والمجتمع بعيدا عن التطرف في الآراء ، والغلو، اللذان يقودان الى انتاج عقائد فاسدة تفرض نفسها بالعنف والقوة، وتحول الاجتهاد البشري الى حقيقة مطلقة، فتنمي نزعة التكفير، وهو شكل من اشكال الغلو، حيث يتم تدمير نزعة التفكير والنقد لدى الانسان عبر نشر الخرافة، وهي نقيض الدين تماما، مما يقود الى نموذج ديني مزيف يقوم بازاحة الدين الحقيقي عن دوره، ويصنع له صورا ذهنية، تقوده الى اعتزال النشاط الإنساني الحقيقي، او تأليه البشر، أو صناعة تاريخ مزيف، مما يصنع اطرا ثقافية مضادة للتطور الإنساني القائم على العقل.

لقد خدعت داعش واشباهها الكثير من الاتباع ، ولاسيما الشباب، واقنعتهم بوهم أنها الحلم الذي سيجد الشباب فيه ضالتهم وتتحقق امنياتهم ورغباتهم، في مجتمع سعيد وعدالة مطلقة، ونمط من الحياة المثالية، والسعيدة، وهي خرافة لم يكن لها حظ من المصداقية، وقد اندفع الالاف خلفها لمجرد قدرة داعش على تسويقها، وكان المخيال التاريخي عاملا مساعدا على ذلك، كما ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي، وتقنيات الاعلام المتطورة في صنع وتسويق هذه الخرافة والاسطورة.

لقد ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في الانتشار السريع للافكار المتطرفة، والدعاية للمنظمات الإرهابية ومنها داعش، التي امتلكت مهارات متقدمة في توظيف هذه الأدوات، والتقنيات على صعيدين هما:

1- نشر افكارها المسمومة والخطيرة.
2- تجنيد الافراد، ولاسيما صغار السن والشباب في منظومتها.

ان هذا الخطر الكامن في هاتين النقطتين، يقتضي جهودا حثيثة في مكافحة ومحاصرة جهود داعش بهذا الصدد، فلابد أذا من تعاضد كل الأطراف حتى يمكن القضاء، او تقليل اخطار هذه المنظمات، من خلال تعاون أجهزة الدولة مع المؤسسات التربوية، ومنها الاسرة والمدرسة والمساجد، وكل المؤسسات الاهلية المعنية بهذا الامر.

كما ينبغي ان ننتبه بما يخص العملية التربوية، الى المعلم الذي يمارس دورا أساسيا في تنشئة الجيل الجديد، فلابد من رعايته والاهتمام به وأعداده بشكل يتناسب مع هذه المهمة الخطيرة، من خلال تحسين مستواه الاقتصادي، وتحسين أداءه عبر الدورات التأهيلية المتواصلة، وتعليمه الأساليب والتقنيات التربوية الحديثة، وتزويده بالمهارات التي تمكنه من فهم سيكولوجية التلاميذ، ومراقبة سلوكه بدقة بوصفه النموذج الأساس الذي يحتذي به التلاميذ.

أن الاخلاق هي القاعدة الأساسية والبنية التحتية لكل البنى الفوقية في المجتمع واذا تعرضت للخطر فأنها تعرض المجتمع للانهيار الشامل. وعليه لابد ان يكون المجتمع وقادته حذرين جدا من أي تهديد لهذا الأساس، وذلك لأن الحياة الاجتماعية، والعلاقات التي تنسج بين الافراد والجماعات والمؤسسات انما تعتمد على العامل الأخلاقي، لذا لزام علينا ان نركز على هذا البعد المهم، وان نوليه عناية خاصة، فالمسالة الأخلاقية، هي روح المجتمع وارثه ورأسماله الذي يحتاج الى تخطيط، ومؤسسات، وفلسفة اجتماعية تتناسب مع التحدي الذي تهدده العولمة والخرق الخطير الذي تشكله مواقع التواصل الاجتماعي لقيمنا التي بدأت تختلط بشكل قهري مع القيم المتناقضة للثقافات الأخرى، والتي لم يعد بالإمكان إقامة حواجز، وموانع امام غزوها، وتأثيرها على جيل الشباب خاصة.

لقد أصبحت العولمة الثقافية احد التهديدات الاستراتيجية لقيم المجتمعات الإسلامية ، ومنها المجتمع العراقي، وأغلب المتلقين والمتعاطين مع هذه الثقافات لايمتلكون الحصانة والوعي الكافيين للتعامل معها بشكل انتقائي إيجابي.

لقد نجحت الثقافة الغربية والأمريكية بصورة خاصة في اختراق مجتمعاتنا، من خلال طرح نماذجها ورموزها بطريقة مؤثرة على عقول المتلقين، سواء على صعيد الفن، او القيم، او الملبس، او السينما، وانماط السلوك، بل وحتى طريقة التحدث، والمفردات التي يتداولها الجيل الجديد، وبدأت تؤثر في علاقاتنا الاجتماعية، وفي نسيج الاسرة العراقية، وهذا يقتضي وضع معالجات جادة، عبر التخطيط الجاد واشراك المتخصصين في علم الاجتماع، والنفس، وعلماء الدين، والجامعات، والمؤسسات الاجتماعية، والمراكز البحثية، لوضع استراتيجية متكاملة بهذا الصدد، لتكون خارطة طريق تربوية، من اجل تحقيق الامن التربوي المنشود.

في نهاية هذه الدراسة اقترح:

1- اطلاق حملة وطنية واسعة بشرياً وجغرافياً للتوعية بمخاطر الانترنت والمحطات الفضائية من خلال خطة تنفذ في المدارس والجامعات ومنتديات الشباب، تشارك فيها وسائل الاعلام، ومنظمات المجتمع المدني.
2- لا يكفي ان نواجه الارهاب بالبنادق. فالإرهاب فكر وعقيدة فاسدة ينبغي فضح توجهاتها وكشف جذورها ومصادر دعمها واهدافها البعيدة والقريبة. ان الفكر الارهابي يسمم منظوماتنا التربوية ويغري الشباب بمثيولوجيا الوهم والخرافة فيدفع بهم في متاهات الكفر والجريمة والعداء للدين والمجتمع.
3- خلال السنوات الاخيرة تمت مراجعة المناهج الدراسية لكن الحاجة الحقيقية مازالت قائمة لمزيد من المراجعة الواعية والموضوعية التي تستهدف تحريرها من كل مصادر تهديد وحدة المجتمع، وتكريس مبدأ المواطنة، واحترام الاخر، ونبذ التمييز والتعصب والعنف. فضلاً عن ضرورة ان يكون المعلم نموذجاً للشخصية العقلانية المنجزة التي تشجع الطلبة على التماهي معها بوصفها قدوة اخلاقية وعلمية.
4- احداث تغيير حقيقي في نمط التنشئة الاجتماعية الاسرية من خلال جهود منظمات المجتمع المدني وتوعية الاباء والامهات بمخاطر الاساليب التربوية القائمة على العقوبات الجسدية، والتمييز على اساس النوع ومصادرة حقوق الاطفال في ابداء الرأي والمشاركة في نقاشات الاسرة وتعزيز شخصياتهم بمزيد من الثقة بالذات وعقلانية التصرف وتحريرهم من الخوف غير المبرر من الكبار والشك بالأخر او اساءة فهمه وتأكيد قيمة الوطن في نفوسهم. ان نمط التنشئة الاسرية السائد في مجتمعنا هو احد مصادر تهديد منظومتنا وهو بحكم تواصله الزمني اكتسب صلابة يصعب معها تغييره لكن ذلك ليس مستحيلاً.

في الختام ان عقد مؤتمرات تربوية سنوية امر ضروري لتدارس المخاطر التي تهدد مسيرة نظامنا التربوي. فالعلم بالشيء ضرورة منطقية تسبق التعامل معه بموضوعية وقدرة على التأثير فيه.

المصادر

ادنوف، حنان. (2011). دور معلم الصف في تحقيق الامن التربوي للطفل-دراسة ميدانية في محافظة الحسكة. *مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية*. **ISSN**: 19958463, العدد 2 والصفحات 182-208

إسكندر، نبيل رمزي. (1988). *الامن الاجتماعي وقضية الحرية*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
إسماعيل، محمود. (2006). *حركات السرية في الاسلام*. القاهرة: رؤية.
بدج، ر. م ماكيفر وشارلز. (1961). *المجتمع*. (علي احمد عيسى، المترجمون) القاهرة: النهضة المصرية.
بركات، حليم. (2000). *المجتمع العربي في القرن العشرين*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
جدنز، انتوني. (2005). *علم الاجتماع*. (فايز الصياغ، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
حمزة، كريم محمد. (2012). تبخيس النفيس. *مشكلة المواد الاباحية ومخاطرها- دراسة استطلاعية – مجلة العلوم التربوية النفسية، العدد (86)*.
الخشن، الشيخ حسين. (2006). *الاسلام والعنف، قراءة في ظاهرة التكفير*. بيروت: المركز الثقافي العربي.
الدهشان، جمال على. (2018). الامن التربوى العربى مدخلا لتحقيق الامن القومى العربى. *مقالة,موقع شارع الصحافة الالكتروني*.https://pressst.com/?p=31450
الديك، فرحان. (2000). *الاساس الديني في الشخصية العربية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة.
الذهب، محمد عبد العزيز. (2002). التربية والمتغيرات الاجتماعية في الوطن العربي. بغداد: بيت الحكمة
رضا، محمد جواد. (1987). *العرب والتربية والحضارة، الاختيار الصعب*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
زايد، أميرة عبد السلام. (2018). *المدرسة وتحقيق الامن التربوي* (المجلد ط1). دسوق، مصر: دار العلم والايمان للنشر والتوزيع.
شرابي، هشام. (1975). *مقدمات لدراسة المجتمع العربية*. بيروت: الاهلية.
الشمري، شعبان. (بدون تاريخ). *نظرية التفكيك للنص الديني عند العقل التكفيري*. بيروت: دار النصر.
عبد الهادي، نبيل. (2002). *علم الاجتماع التربوي*. عمان : دار اليازوري.
عمر، السيد احمد مصطفى. (2003). *اعلام العولمة وتأثيره في المستهلك*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
مجموعة باحثين. (1999). الامن الاجتماعي والتنمية. *اوراق ومداولات المؤتمر*. القاهرة.
المراياتي، كامل؛ و آخرون. (1997). *الامن الاجتماعي*. بغداد: بيت الحكمة.
منصوري، نديم. (2014). *سوسيولوجيا الانترنت*. بيروت: منتدى المعارف.
منظور ، ابن. (2005). *لسان العرب* (الإصدار م2). بيروت: دار صادر.
ناصر، عفاف عبد العليم ابراهيم. (1995). *التنمية الثقافية والتغيير النظامي للاسرة*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
الهرماسي، عبد اللطيف. (2010). *ظاهرة التكفير في المجتمع الاسلامي*. بيروت: الدارالعربية للعلوم.
Ghosh, R., Manuel, A., Chan, W. A., Dilimulati, M., & Babaei, M. (2016). *Education and security: A global literature review on the role of education in countering violent religious extremism.*

Gould, J., *Kolb*, *W L* (ed) .(1964) *A Dictionary of the Social sciences* .Lnd: Tavistock..

Hills, P.J .(1985). *A Dictionary of Education* .London :Routledge and Kegan Paul.

References

Abdul Hadi, H. (2002). *Educational Sociology*. Amman: Dar Al-Yazouri.

Adenov, H. (2011). The Role of the Class Teacher in Achieving Educational Security for the Child - a field study in Hasaka. *Anbar Journal for the Humanities*, (1), 182-208

Al-Dahshan, J. A. (2018). Arab Educational Security as an Introduction to Achieving Arab National Security. Retrieved from https://pressst.com/?p=31450

Al-Deek, F. (2000). *Religious basis in the Arab Personality*. Beirut: Unity Center for Studies.

Al-Dhahab, M. A. A. (2002). *Education and Social Changes in the Arab World*. Baghdad: House of Wisdom.

Al-Harmasi, A. (2010). *The Phenomenon of Takfir in Islamic Society*. Beirut: Arab Science House.

Al-Khishen, S. H. (2006). *Islam and Violence, Article on the Penance Phenomenon*. Beirut: Arab Cultural Center.

Al-Marayati, K. and others. (1997). *Social Security*. Baghdad: House of Wisdom.

Alshamry, S. (n.d.). The Deconstruction Theory of the Religious Text of the Takfiri Mind. Beirut: Dar Al-Nasr.

Barakat, H. (2000). *Arab Society in the Twentieth Century*. Beirut: Arab Unity Studies Center.

Ghosh, R., Manuel, A., Chan, W. A., Dilimulati, M., & Babaei, M. (2016). *Education and Security: A Global Literature Review on the Role of Education in Countering Violent Religious Extremism.*

Giddens, A. (2005). *Sociology*. F. Al-Sayagh (trans.). Beirut: Arab Organization for Translation.

Gould, J., & Kolb, W. L. (ed.). (1964). *A Dictionary of the Social sciences* .London: Tavistock.

Hamza, K. M. (2012). Undervaluation the Precious. The Problem of Pornography and its Risks: An Exploratory Study. *Journal of Educational Psychological Sciences, 86*.

Hills, P.J. (1985) *A Dictionary of Education* .London :Routledge and Kegan Paul.

Iskandar, N, R. (1988). *Social Security and Freedom Case*. Alexandria: University Knowledge House.

Ismail, M. (2006). *Secret Movements in Islam*. Cairo: Al-Rua'ya

Maclver, R. M., & Charles, B. (1961). *The Society*. A. A. Issa (trans.) Cairo: The Egyptian Renaissance.

Mansouri, N. (2014). *Internet Sociology*. Beirut: Knowledge Forum.

Manzur, I. (2005). *Lisan Al-Arab* (2nd ed.). Beirut: Dar Sadir.

Nasser, A. A., & Aleem, I. (1995). *Cultural Development and the Regular Change of the Family*. Alexandria: University Knowledge House.

Omar, A. A. M. (2003). *Globalization and its Effect on the Consumer*. Beirut: Arab Unity Studies Center.

Raza, M. J. (1987). *Arabs, Education and Civilization, the Difficult Choice*. Beirut: Arab Unity Studies Center.

Researchers Group. (1999). *Social Security and Development. Conference papers and Deliberations*. Cairo.

Sharabi, H. (1975). *Introductions to Study Arab Society*. Beirut: Al Ahlia.

Zayed, A. A S. (2018) *School and Achieving Educational Security* (Vol 1). Desouk, Egypt: House of knowledge and faith for publishing and distribution.